



## هل أبقى أم أرحل؟

بروجيكت سنديكيت 2022-11-09 -

بقلم: إيان بوروما

نيويورك - لا يُعرف تماماً كم عدد الروس الذين غادروا بلادهم منذ بداية الحرب على أوكرانيا؛ فالبعض يقول أن عددهم أكثر من مليون، ويقول البعض الآخر أنه أقل من مليون. ولكن الأرقام الهائلة قد تكون أقل أهمية من عيار العديد من الذين غادروا. فهم من بين الروس الذين يتمتعون بنصيب أوفر من الثقافة: المؤلفون، وعلماء الكمبيوتر، والصحفيون، وصانعو الأفلام، والموسيقيون، والأكاديميون، والممثلون، وما إلى ذلك.

ويغادر البعض لأنه ليس لديهم خيار آخر. فقد اضطر صحفيون ممن انتقدوا الحرب مثل يفجينيا ألباتس، محررة صحيفة Times New (نيو تايمز)، إلى الفرار حتى لا يعتقلوا على خلفية نشرهم لـ "أخبار كاذبة" أو كونهم "عملاء أجانب". ويغادر آخرون لأنهم لا يحتملون الحياة في روسيا بقيادة بوتين.

وانتقلت أولغا سميرنوفا، راقصة الباليه الأولى في فرقة Ballet Bolshoi (بولشوا بالي) إلى أمستردام. وقالت أنها لم تكن لتظن أبداً أنها ستخجل من روسيا يوماً ما؛ لكن بسبب الحرب أصبح من المستحيل لها أن تظل في روسيا. وفضل مئات الآلاف من الشباب الفرار قبل "التعبئة الجزئية" الأخيرة للرئيس، فلاديمير بوتين، على أن يواجهوا خطر إرسالهم للقتال في حرب لم يريدوها أبداً.

وأخبرني صديق لي في "موسكو" أن عدد الأشخاص الذين أتحت لهم الفرصة ليغادروا وفعلوا ذلك يفوق الآن عدد أولئك الذين اختاروا البقاء. ولكن بعض الشخصيات البارزة التي تعارض حرب "بوتين" ما زالت تعيش في روسيا لأسباب مختلفة. فهي إما لا تريد التخلي عن عائلاتها، أو لا يمكنها مواصلة العمل في أي مكان آخر؛ أو تريد البقاء حتى تشهد على ما يحدث في بلادها. وتعهد الصحفي المستقل "ديمتري موراتوف" قائلاً: "سنعمل هنا حتى تلامس ماسورة المسدس البارد جباهنا الساخنة".

إن مثل هذه الخيارات ليست سهلة أبداً. فقد واجه الناس في أوقات أخرى وبلدان أخرى، مثل ألمانيا النازية أو الصين الشيوعية، معضلة مماثلة. فإذا غادرت، فإنك قد تصبح غير ذي صلة ببلدك، وضيئاً غير مرحب به في الخارج. وإذا بقيت، قد يُزج بك في السجن، أو قد يحصل لك ما هو أسوأ.

وغالباً ما توجه انتقادات للمغادرين تصفهم بالجنباء أو الخونة، بينما يحاصر المنشقون الباقون بين القوى



الأجنبية وحكومتهم. ويُنظر إلى الروس الذين يحبون بلادهم ولكنهم يكرهون الحرب كما كان يُنظر إلى الألمان الوطنيين الذين كانوا يكرهون النازيين؛ فهم بالكاد لديهم أصدقاء.

إن الاختيار بين البقاء والمغادرة دائماً ما يثير لدى الشخص قدراً كبيراً من الشعور بالثقة في استقامته من جميع الجوانب. فغالباً ما يصر الأشخاص الذين يعيشون بأمان خارج البلاد، بمأمن من وحشية الحرب والديكتاتورية، على ضرورة أن يُظهر مواطنوهم ممن بقوا في البلاد معارضتهم للحكومة. وفي مؤتمر عُقد في ريغا، أعلن بطل العالم السابق والناشط السياسي، غاري كاسباروف، قائلاً أن الروس الذين يريدون أن يكونوا "على الجانب الصحيح للتاريخ يجب أن يحزموا حقائبهم ويغادروا البلاد". وقال إن من لا يفعل ذلك "جزء من آلة الحرب".

وتعرض المخرج السينمائي، كيريل سيربيرينكوف، للمضايقة من قبل الحكومة الروسية لسنوات، لكنه ظل يرفض المغادرة حتى تبين أن الحرب كانت القشة التي قصمت ظهر البعير. فقد طرح مشكلة كونك روسياً معارضاً لبوتين بوضوح قائلاً: "إن هذه الحرب يخوضها رئيس وسياسيون لم أصوت لهم، لكن في نظر الكثيرين، أنا شريكهم عن غير قصد".

لقد فر توماس مان، أشهر كاتب ألماني في عصره، من ألمانيا النازية بمجرد وصول "هتلر" إلى السلطة في عام 1933. فقد كانت زوجته يهودية الديانة، وكانت آراؤه ستؤدي إلى اعتقاله، لذا لم يكن لديه خيار آخر. وبُنيت هجماته الشرسة على نظام "هتلر" خلال الحرب على "البي بي سي". وبعد الحرب، ادعى "مان" أن جميع الألمان لطحوا أياديهم بجرائم النازية، وكذلك المؤلفون الذين نكسوا رؤوسهم.

وأثار هذا استجابة حادة من مؤلفين مثل فرانك تيس، الذي لم يكن نازياً ولكنه اختار البقاء في ألمانيا. وكان هو من صاغ عبارة "الهجرة الداخلية" للمثقفين الذين انخلقوا على أنفسهم لبيتعدوا عن المشاكل. وأكد "تيس" أن أشخاصاً مثل "مان" جبناء تخلوا عن مواطنيتهم ممن كانوا يعانون.

وذهب "تيس" إلى أبعد من ذلك وادعى أن أولئك الذين بقوا تحلوا بقدر أكبر من الشجاعة. لقد تحدث نيابة عن العديد من الألمان الذين ظلوا في بلادهم ولم يغفروا لهؤلاء الذين غادروا، مثل "مان" أو النجمة السينمائية "مارلين ديتريش".

إن التضارب الحاد بين الأشخاص الذين يجب أن يكونوا في الصف نفسه، ولكنهم اتخذوا خيارات وجودية مختلفة، هو أحد الانتصارات التي حققتها الأنظمة القمعية؛ فهو يزيد من ضعف فرص المعارضة.



وكلما أطلقت الحكومة الصينية سراح عدد قليل من المعارضين المعروفين وسمحت لهم بالانتقال إلى الغرب، سارع الناس إلى الترحيب بمثل هذه البادرات باعتبارها انتصارات في مجال حقوق الإنسان. وفي الواقع، يعد هذا النوع من الإبعاد وسيلة فعالة للتخلص من النقاد الذين سرعان ما يصبحون طي النسيان في بلادهم، أو يُستبعدون على أساس أنه لا يمكن التواصل معهم وباعتبارهم غير ذي صلة. وغالباً ما يكون ثمن الحرية في الخارج هو عيشهم حياة منعزلة كنقاد لاذعين للأشخاص الذين تركوهم وراءهم.

قد يتضح أن نزوح أفضل الأفراد في روسيا وأذكاهم ستكون نعمة بالنسبة للمؤسسات العلمية والفنية والأكاديمية في الغرب. ومن المؤكد أن ذلك سيضر بالآفاق الاقتصادية طويلة المدى لروسيا. لكن ربما لن يكثرث بوتين لذلك، طالما أنه يستطيع البقاء في السلطة.

إن الروس الذين اختاروا البقاء سيعانون من العواقب طويلة المدى لعسكرة بوتين، وربما أكثر مقارنة مع الأوكرانيين الذين يتحملون وطأة الحرب الآن. وعلى حد تعبير إيليا كولمانوفسكي، صحفي الأحياء والعلوم الشهير، الذي غادر روسيا أخيراً بسبب الحرب، "مع مرور الوقت، سوف يدرك الناس أن الغزو الذي شنه "بوتين" كان أيضاً هجوماً على روسيا".

\* إيان بوروما، محرر مجلة نيويورك للكتب، ومؤلف العديد من الكتب، منها القتل في أمستردام: وفاة ثيو فان جوخ وحدود التسامح والسنة صفر: تاريخ عام

1945، أحدث مؤلفاته "عقدة تشرشل: لعنة التميز، من ونستون وفرانكلين ديLANO روزفلت إلى ترامب والخروج البريطاني".

<https://www.project-syndicate.org>